صفحة العام الجديد

حصة العوضي

ونحن نقلب الصفحة الأخيرة في رزنامة هذا العام الذي يحتضر..لنتوقف عند السطور الكثيرة التي شملتها شهور هذا العام، بلياليها المرعبة، بأيامها القاحلة، بعواصفها التي لا ترحم صغيرا ولا عاجزا.ولنبدأ القراءة من الأخير، من السطر الأخير وحتى السطر الأول في كل صفحة.ولنحصي كم دمعة سكبت في هذه السطور التي ما عادت تصلح للقراءة والمراجعة. كم طفل قضى فوق ثرى هذه الأيام، دون أن ترثيه أم أو أخت أو جدة، فالكل قد قضى قبله..

كم نقطة من الدماء صبغت صفحاتنا السابقة، ولم يعد لنا مكان لنضع عليها أقلامنا، أو لنتعرف على موضع السطور الفارغة...كم آهة خرجت من أعماق كبد والهة حرى، تنتظر الصباح الذي رحل ذات ليلة، ولم يعد حتى هذه اللحظة..

كم حلم قض ليلتنا، وأرقنا ليالي طويلة ما كان بها قمر، ولا شهدتها أي نجوم ....

كم من أم لملمت جراحها، ودموعها التي نزفت ليال وأيام، وهي تنتظر قرب النافذة، عل غائبا يحن ذات لحظة لدفء الأم وحنانها، ويقرر السفر على أجنحة الحنين والشوق.

أيتها الصفحات التي ملأتها أخبار الأيام والجراحات المفتوحة والنازفة دون حدود، كم من الصغار تاقوا إلى قطرة ماء، أو كسرة خبز، أو دفء قلب وصدر حبيب قريب .

المشردون باتوا يسكنون السطور المليئة بأخبار المدرعات والتفجيرات، ولهيب النيران والقنابل الفتاكة.

يلتقطون من الأرض بقايا الأحبة والمزقين تحت نير الحقد والظلم والإرهاب.الجائعون ما عادوا يسطرون أخبار جوعهم، وقلوبهم النازفة، وعدد الأجساد المحشورة في اللحود، فما عادوا يعرفون الرقم الذي توقفوا عنده البارحة، أو السطر الذي لا يزال فارغا دون حروف وجمل.الغائبون يسهرون محاولين أن يبعثوا مع كل نجمة تطل من وراء السحب رسالة حب وشوق وولهه، لكن النجوم توقفت عن استلام الرسائل المثقلة بالأسى، حتى لا تحجب نورها عن الآخرين.

لهذا، فالسطور التالية التي نحاول قراءتها، مشوشة، لا يمكن فك شفرتها، ولا يمكن فهم ما تبعثه إلينا ما بين الأنة والأنة.

نتوقف في منتصف الكلمة، في منتصف السطر، نبحث عن كلمات أخرى تضفي على تلك الجملة رونقا وجمالا، بدلا من ذلك السخط الذي يتبعنا في كل جرة قلم.

كلمات، وكلمات، وسطور مجوفة من الداخل، تحسبها نخلا باسق الطلع والثمر، لكنها في الحقيقة ليست إلا بقايا حزن ووجع لا أول له ولا آخر.

في هذه السطور التي أود أن أتجاوزها قبل أن يختتم هذا العام ساعاته وثوانيه، ومآسيه التي لا تنتهي، أتمنى من الله أن يهبنا الأمن والسلام واليقين.

أتمنى لجراحنا المفتوحة أن تندمل مع فجر العام الجديد، وأن تشفى القلوب المعذبة، والأبدان الممدة فوق الأسرة البيضاء.

أتمنى أن يسطر العام الجديد في كل سطر من صفحاته البيضاء آمالا جديدة، وأبوابا مشرعة للحب والسلام، وديارا تحتضن الغريب قبل القريب، وتواسي المظلوم والمحروم بصفحات من الرحمة والصفح والوئام .. قبل أن نغير الرزنامة المعلقة فوق الجدار، أتمنى أن يكون العام الجديد حلوا، وعذبا، وشافيا لكل الصدور والقلوب، والنفوس.

عام جديد سعيد على الجميع.

كاريكاتير أعجبني

كيف تتجاوز أزمات الحياة؟

د. موزة أحمد راشد العبار

صدر كتاب «Your Turn» للكاتبة نانسي أروين، الذي وجد رواجا كبيرا، إذ اعتبر ضمن أفضل إصدارات ذلك العام.أسلوب الكاتبة وعرضها ورؤيتها شيق وسلس، الكتاب كتب بلغة بسيطة، إذ قصد به مخاطبة الإنسان العادي. ما اشتملت عليه فصوله، يعتبر حصيلة خبرة ومعايشة بعين بصيرة، لواقع أزمة الرهن العقاري، وبدا لي أن الكاتبة وظفت خبرتها الأكاديمية في هذا العمل المبدع، فقد عملت قبل سنوات ممثلة مسرحية كوميدية..

كما مارست الغناء الأوبرالي، وفي سن ٤٢ التحقت بالجامعة، فحصلت على الدكتوراه في علم النفس الإداري، وقد طوعت خبرتها العلمية وتجربتها ومؤهلاتها العملية، وسطرتها بشكل أكسب الكتاب رواجا لم يكن متوقعا.

لأهمية الموضوع سنعرض لأهم ما ورد فيه من أفكار، حول السبل التي تعين الفرد على التعامل مع الأزمات والتوترات التي قد يتعرض لها أي إنسان في منتصف الحياة، كما رأت الكاتبة، وهي تعني الأوقات التي يصاب فيها المرء بحالة من الضجر أو الملل، الناجم عن ظروف خارجة عن الإرادة، سواء في المنزل أو في العمل.ظروف من شأنها أن تحول الملل إلى مشكلة، قد تواجه الرجل أو المرأة، وقد تصل إلى حد الخوف من المستقبل، وقد وضعت الدكتورة «اروين» عوامل ستة تساعد أي إنسان يمر بأزمة، على التحول للأفضل، يمكن عرضها باختصار، وأولها أن على كل فرد، من حين لآخر، أن يعيد تقييم تجربته ومواقفه ومبادئه في الحياة، وثانيها تجاهل توافه الأشياء ومحاولات البعض للتقليل من أهميتك..

وثالثها أن لا يأسف الإنسان على ما مضى مهما كان، ويتجاوز اليوم بالنظر إلى المستقبل، ورابعها يقول «ابحث عن مهاراتك وقدراتك الكامنة واجتهد لإستثمارها لصالحك».العامل الخامس عنوانه «كن صريحا مع نفسك، وحاول ممارسة النقد الذاتي لتجاوز أخطائك»، أما سادس العوامل فيتمحور حول ضرورة أن يضع الإنسان برنامج عمل يومي وخطة ذكية تعينه على التغيير.ترى الكاتبة أن الحياة المعاصرة، والعلاقات المتشابكة والمتداخلة، ومتطلبات وتكاليف الحياة، وضيق الوقت، والمنافسة المحتدمة بين زملاء العمل والرؤساء، تؤدي إلى الإحساس بالضيق، ولعل الكاتبة تتفق مع علماء علم النفس الفردي في أن المخاوف تعاود الناس في ظروف مختلفة.هنالك فرق بين العوامل الغريزية والعوامل الاجتماعية المكتسبة، من حيث تأثيرهما على السلوك الفردي، تضيف الدكتورة «نانسي» أن الفرد العاقل يتملكه الخوف من المجهول، والخوف من المرض، والخوف من العجز، فضلا عن الخوف من الفشل.

كل مجتمع يعزز في نفوس أفراده قيماً اجتماعية، تتحدد معها قدراتهم للاستجابة والتعامل مع الأزمات باختلاف أنماطها، بل ويضع الخيارات التي تعينهم على تجاوز المحنة أو الأزمة الطارئة.

> على الإنسان، أي إنسان أن يتوقع دائماً أسوأ الاحتمالات، وأن يكون قادراً على التعاطي مع عوارض الزمن وطوارئ الحياة

مثلا، قبيلة الزولو الأفريقية تستهجن فرار أي رجل من أفرادها إذا دهمه نمر أو أسد مفترس، بينما قبائل أخرى لا تعيب هروب الرجل أو تسلقه شجرة ليتقي شر أي حيوان، وهكذا يكتسب أفراد المجتمع الأنماط السلوكية والمهارات التي يمكن أن تساعدهم على تجاوز مشكلاتهم، وذلك قبل أن تتحول إلى أزمة يتعذر علاجها.

أرادت الكاتبة أن تسبر أغوار الحياة الاجتماعية، لمعرفة حجم الضغوط النفسية التي يعاني منها عدد لا يستهان به من أفراد المجتمع، بسبب تزايد أعباء المسؤوليات الشخصية أو الأسرية، وهي في مراحلها الأولى إعباء تبدأ بسيطة لا يكاد يحس بها الفرد. لكنها تتراكم يوما بعد يوم، إلى أن تصل المرحلة القصوى بالتراكم التي يصاب فيها الإنسان المعاصر، أي إنسان المدينة، بالإعياء والإرهاق الجسدي والنفسي، وعرّفتنا الكاتبة بحالات عدة لأناس أجبرتهم تداعيات الأزمة الاقتصادية على تغيير أساليب حياتهم، خصوصا الذين فقدوا وظائفهم أو الذين اضطروا لبيع منازلهم لتسديد مستحقات مصرفية.

اللافت للنظر إجماع معظم من تم استجوابهم حول أثر الأزمة الاقتصادية على حياتهم، أن الأزمة أعادت الدفء لحياتهم الزوجية، فضلا عن تطوير العلاقات مع جيران لم يكن بالإمكان مخالطتهم لولا الأزمة.

قد يتساءل القارئ ما سر الرواج الذي وجده كتاب الدكتورة نانسي اروين، لدرجة أن طبعته الأولى نفدت من الأسواق في معظم المكتبات حتى خارج الولايات المتحدة الأميركية؟في تقديري أن مجموعة من العوامل كانت وراء رواج الكتاب، لعل من أهمها القدرة الهائلة للكاتبة على استقراء أزمة الإنسان المعاصر، والذي ليس بالضرورة أن يكون أميركيا، لأن الكتابة الفنية الصادقة غالبا ما تتجاوز حدودها الجغرافية.لا بد أن الخبرة والتجارب الشخصية للكاتبة، فضلا عن رشاقة أسلوبها، كلها من عوامل سر نجاح هذا الكتاب..والشيء الأخر أن نمط الحياة في مجتمعات العواصم والمدن الكبرى أصبح متشابها، وإيقاع هذه المدن أصبح ضاغطا بسبب ظاهرة الإستلاب الحضاري والتقني، فالفرد أصبح محاصرا ومحكوما، وعليه أن يدور مع آلة الزمن وفق إيقاعها اليومي المتوتر والمستمر على نحو يستحيل إيقافه، منذ الصباح إلى اللحظة التي يسلم نفسه للنوم.ولكن عليه متى ما وجد الفرصة، أن يتمرد على الروتين بإحداث تغيير جوهري في أسلوب الحياة والنظام الغذائي وأسلوب المعيشة، ويلاحظ أن طرح الكاتبة لفت الأنظار إلى الأبعاد الفلسفية لمعنى الحياة، وذكرتنا بأن دوام الحال من المحال، وأن على الإنسان، أي إنسان أن يتوقع دائما أسوأ الاحتمالات، وأن يكون قادرا على التعاطي مع عوارض الزمن وطوارئ الحياة.

jadl@albiladdaily.com

يتم إرسال مقالات الكتاب على العنوان أعلاه

التاجر الصغير

حمد الكعبي

لم تكن فكرة التاجر الصغير مجرد مشروع لتوعية طلاب وطالبات في المراحل التعليمية المختلفة. وإنما فكرة تؤسس جيلا من الشباب والمواهب القادرة على الاعتماد على الذات والتخطيط لمستقبل واعد، وفتح آفاق في عالم الأعمال الذي توجد به مئات الفرص التي قد تغيب عن كثير منا. فعلا إنها فكرة جيدة تستحق التكرار والتعميم على مختلف إمارات الدولة، فالطالب في هذه المرحلة تصقل مواهبه، وتنفتح له آفاق واسعة يستطيع أن يحقق من خلال تلك الفرص التي سنحت له نجاحا باهرا ومشاريع حيوية يخدم بها وطنه ومجتمعه.

لا شك أن لدى جيل المراهقين أفكارا يكاد يكون بعضها ضربا من الجنون، ولكن العديد من تلك الأفكار التجارية قابلة للتطبيق على نطاق واسع، وقد يستطيع المجتمع استنباط أفكارها وتبنيها وتحويلها لمشاريع خدمية تخدم المجتمع.

إطلاق العنان أمام ذلك الجيل الشاب يعد مطلبا ضروريا، وفتح المجال أمامهم يعد جزءا من اكتسابهم خبرة مختلفة تؤهلهم لأن يكونوا أعضاء فاعلين ناجحين في مجتمعهم، ومقدمين لخدمات جليلة له. الكثير من الشباب الذين منحوا الفرص الكافية، استطاعوا أن يشقوا الطريق ويثبتوا أنفسهم ويفرضوا تجاربهم الهادفة ومشاريعهم الحيوية.

كما أن الاعتماد عليهم في هذا السن يشعرهم بالمسؤولية، ويعطيهم الثقة الكاملة بأنهم يستطيعو أن يحققوا النجاحات في مختلف مشاريعهم، أعتقد أنه لابد من تعميم الفكرة، ونشرها بين جيل الطلاب بشكل أكبر فذلك يساهم في إيجاد الفرص المتنوعة والمختلفة للطالب.

لاشك أن المشاريع الصغيرة لها المردود الاقتصادي الذي لا يستهان به على الدولة، ومشروع التاجر الصغير، لا بد أن يستمر، ويوفر له الدعم المناسب والكامل حتى يعود بالنفع على المجتمع بأكمله.

كما لابد من توسيع دائرة النشاطات المسموح بها للتاجر الصغير، وإيجاد التراخيص اللازمة له، وفرض الشروط المطبقة على التجار، حتى يستطيع أن يستمر، ويسعى لتحقيق المزيد من الإبداع والابتكار.

كما تعلمون «التجارة فن وشطارة» حالها كحال باقي المواهب فالممارسة المستمرة لها تنميها، والتوقف عنها والابتعاد عنها قد يجعل من برعوا في تلك المسابقات المقامة ينجذبون لقطاعات أخرى ويبتعدون عن هذا القطاع .نحن بحاجة ماسة لتنمية مهارات الكوادر المواطنة في شتى المجالات فهناك نشاطات تجارية مازالت إلى الآن يستحوذ عليها وافدون، والمواطن للأسف كفيل صوري، إما لأنه لا يرغب في أن يمارس ذلك النشاط بنفسه، أو لعدم معرفته وإلمامه بجوانبه التجارية المختلفة.

رحلة الوجود

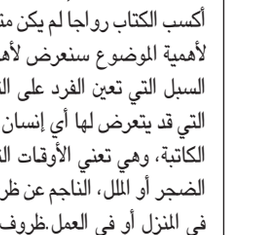

هيثم البوسعيدي

تمر سنوات العمر كلمح البصر بين أمور تافهة وحاجات زائلة ويعيش الانسان ردحا من الزمن دون إدراك لحقيقة وجوده وما هي الغاية التي خلق من أجلها ولماذا عاش كل تلك السنوات وبماذا قضى ذلك العمر؟ وهل أدرك حقيقة الوجود وما هي الغاية وراء خلق جميع الكائنات؟، وهل خلق هذا الكون عبثا أم كل ما في الكون من مخلوقات وأنظمة وأشكال متعددة للحياة تسير حسب مخططات زمنية منظمة؟ لماذا أعطانا الله فرصة الحياة ؟ ما هو الغرض من هذه الفرصة المحدودة والفترة القصيرة؟ وهل أدركنا الحقيقة الكبرى في هذا الكون الا وهي حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى؟ ومراقبته لكل الافعال والأحداث التي تدور في الأرض.

عند التفكر طويلا، تستثيرنا مسارات ومراحل الحياة ففي البداية لا يمشي الإنسان بل يحمل، ثم يزحف حتى يتعلم المشي ثم يمشي على قدميه فيعمر، ويتزوج، ويعمل، ويربي، ويناضل ثم في النهاية يحمل إلى عالم الموت، صور متعددة تجر تفكيرنا للحديث عن واقع مرير.حيث أغلب البشر حاليا يعيشون الحياة دون إدراك لحقيقة الحياة والوجود، فالشعارات التي يتداولها الناس عن تفاهة الدنيا ليست سوى عبارات لا تعكس حقيقة ما يدور في ذواتهم الملتصقة بالدنيا، لأن الأكثرية لايدركون هذه الحقيقة إلا بعد ما يصلون إلى مرحلة متقدمة من العمر بحيث إن أوراق شجرة العمر تساقطت ولم يظل سوى عدد يسير من الأوراق، بل لا يخطر في تفكيرهم هذا السؤال الرهيب: من هم أول الواصلون إلى بر الامان ومن هم الذاهبون إلى طريق الهلاك هناك في العالم الآخر؟ ..قليل من يتأمل في حقيقة الحياة والموت والكثير من يتناسى أن الحياة على الارض هي مجرد رحلة قصيرة وأيام يسيرة بها اختبارات وامتحانات كثيرة، الهدف منها التمييز بين المتناقضات: بين الكفر والايمان وبين القبح والجمال وبين الكمال والنقصان وبين الخير والشر.

> المنتصر هو من انتصر على الهوى والغواية واشكال الشهوات وسار بكامل خطاه الواثقة نحو تحقيق الاستقامة وتنفيذ معاني الخلافة في الارض

لتبدأ رحلة أخرى بعد نهاية هذه الحياة بما فيها من مراحل وخبايا فهي نقطة النهاية لرحلة الإنسان على الأرض بحيث يمثل الموت مرحلة رجوع الروح إلى الله..هذه الحتمية تخالج الروح الواعية بعدة أسئلة متعلقة بحقيقة الموت: متى سنموت؟ وكيف سنموت، وماذا تعني لنا سكرات الموت؟ وكيف ستخرج الروح من الجسد وإلى أين ستذهب؟ وماذا يعني القبر للميت؟ وما هي حقيقة البعث والحشر والحساب والجنة والنار؟ متى يبدأ موعد الرحلة الأخرى؟ ومن أول الراحلون في محيط الإنسان إلى عوالم المجهول؟ هل أبوه هل أمه هل أخاه هل أخته هل هو نفسه؟ وهل أدركت نفوسنا باننا سنتذوق طعم الموت الصعب؟ وكيف ستكون تلك الحياة؟ وماذا عن زاد ومتاع هذه الرحلة ..كل تلك الاسئلة تجبرنا للبحث عن أجوبة لأسئلة أخرى: أين الطغاة؟ أين أين الظالمين والجبابرة؟ أين الاخيار والصالحين؟

أين ملايين الناس ومن عاشوا خلال القرون الماضية أين هم؟ أين أرواحهم؟ أين أجسادهم؟ هل أصبحوا مجرد ارقام مرت عبر التاريخ؟

أين ولماذا وكيف: أسئلة تطرد بازدياد في فكر الفرد الواعي وتزداد حدة في وجدانه وعقله مع ذهاب كل يوم من عمره الذي يعني انه يقترب خطوة نحو الدخول إلى عالم الغيب، عالم لا نعرف عنه عدا اليسير.

إذا هذه الرحلة تكشف لنا جليا أن الانسان هو بالاساس روح موهوبة من عند الخالق، وبعد ان تنفصل الروح عن الطين ليستفيد القادمون من آثاره مستقبلا، تشق الروح بعد الموت رحلة أخرى في هذا الكون، معتمدة على مافعلته من اعمال خيرة أو شريرة في الحياة الدنيا فهو الزاد الوحيد والامل الكبير فيما تبقى وما هو قادم.

أخيرا وجودنا في الحياة هي بمثابة مسابقة بها منتصر وخاسر، فالمنتصر هو من انتصر على الهوى والغواية واشكال الشهوات وسار بكامل خطاه الواثقة نحو تحقيق الاستقامة وتنفيذ معاني الخلافة في الارض من أجل الوصول إلى الفلاح الطلوب، والخاسر من تجنب الحقيقة وطريق الصواب ومارس أنواع الرذيلة والفساد والتخريب وانتهك أسمى القيم وأرق المعاني.

ركائز التغيير الذاتي

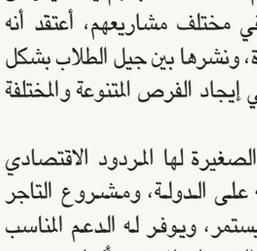

نوفل عبد الهادي المصارع

أولاً: محبة الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام:

فلطالما شغلني حديثُ الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ أَنَس بْنِ مَالِك عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((... وَلَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) [مسند أحمد].

العلم بمحدوديّته جعل لكثير من الأشياء مقياسًا نقيس به درجة القوة أو الحرارة وهكذا، فهذا مقياس ريختر مثلاً يقيس قوة الزلازل.

والسؤال الذي يفرض نفسه بقوة: هل تظن أن الله سبحانه وتعالى يطلب منا التغيير دائمًا للخير والفلاح واستبدال سيئاتنا حسنات دون مقياس نقيس به الأمور ودون ميزان نزن به الحقائق؟

سواء كنت تعرف الإجابة أو لا، سواء كنت تعلم بها أو تجهلها، فلو فكرت قليلاً فقط قليلاً لوجدت أن المقياس هنا يتمثل في الآية الكريمة: ○إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا□ [الفرقان: ٧٠]

–ولله المثل الأعلى– والرب العظيم لا يظلم الناس، كما قال تعالى: ○ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ□ [فاطر: ٣٢]. فَالْمَحَبَّة هنا تتلخص في طاعة الله سبحانه فيما أمر واجتناب نواهيه، وهي بداية التغيير المبارك.

ثانيًا: الثقة بالله:

هناك قول شائع عند الناس وهو "الثقة بالنفس"، ولو تفكرنا فيه وتأملناه لوجدناه يتجرأ على الله سبحانه وتعالى دون قصد، فضلاً عن أنه يتناقض مع فطرة الإنسان؛ والدليل على ذلك قوله صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعاء المَكْرُوب: ((اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ)) [سنن أبي داود].

(فلا تكلني): أي لا تتركني.

(إلى نفسي طرفة عين): أي لحظة ولمحة.

(وأصلح لي شأني): أي أمري.

ما أود عرضه هنا: أليس من التناقض أن تثق بشيء ثقة مطلقة، وفي الوقت نفسه تطلب من الله أن لا يتركك لحظة واحدة خشية أن يفسد هذا الشيءُ أمرَك؟

والسؤال الآخر: كيف تثق بنفسك وهي التي بها طريقان؛ فهذا فجور وذاك تقوى؛ لقوله تعالى: ○وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا□ [الشمس: ٧–١٠].

وعليه أرى أن الثقة بالنفس غير مجدية لسبب يسير لا يغفله أي إنسان عاقل، وهو معرفة إبليس بثغرات النفس البشرية وقدرته على خلط الأمور وفسادها. لذا فالثقة هنا تكون بالله سبحانه وتعالى، وفي نفس الوقت يُكرم الإنسان نفسه ويحترم ذاته ويتوكل على الرحمن ولعله يصيب.

ثالثًا: قيادة النفس:

يعتقد كثير من الناس أن مهارات القيادة متاحة فقط لقلة من الناس، وهذا لعمري كلام خطير ليس به من الصحة حرف واحد؛ بدليل قوله تعالى: ○فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ□ [الزلزلة: ٧–٨]، وهذا يعني أن لكلّ إنسان مهارات قيادية تتناسب مع إمكاناته وقدراته، وتساعده على السير على نهج الرسول عليه السلام والثبات عليه، ويكون هو المسؤول عن ذلك مسؤولية تامة، ولو كان الأمر بخلاف ذلك لأصبح الإنسان يتعذر عند الله بكثير من أمور الحياة وبظروفه المحيطة. وعليه فإنّ قيادة الإنسان لنفسه وتوجيه أفكاره لما يُرضي الله وحث النفس عليها، يجعل من عملية التغيير أمراً سهلاً ويسيراً.

رابعًا: الرغبة في التغيير:

وهنا الإشكالية التي يراها كثير من الناس، فيسأل معظمهم: إنني أرغب في التغيير، ولكن لا أعرف من أين أبدأ؟ وكيف أتغير؟ وكيف أتمكن من الثبات؟

دعني أخبرك بسرّ يجهله كثير من الناس؛ وهو أن الإنسان لا يخاف من التغيير، ولكنه في حقيقة الأمر يخشى التحول أو الانتقال الذاتي .

(فالتغيير) هو حدث أو موقف يحدث خارج نطاق الفرد، ولكن (التحول) هو حدث معين أو موقف محدد يؤثر في الإنسان؛ سواء في حياته أو في مجال عمله. لذا أعتقد جازمًا أن الرغبة في التغيير يجب أن تستند على قلب حاضر ورغبة صادقة، قلب يعي ما يقول ويفهمه.

أما الرغبة الصادقة فدعني أخبرك بقصتها:

قرأت حكمة يقول صاحبها –وهو غير معروف من باب الأمانة العلمية وإن كان كثير من الناس يرجعها إلى فورد أوتلو ولكن ليس هناك ما يدل على ذلك– : "انتبه لأفكارك؛ لأنها سوف تصبح كلمات، وانتبه لكلماتك فسوف تصبح تصرفاتك، وانتبه لتصرفاتك فسوف تصبح عاداتك، وانتبه لعاداتك فسوف تصبح شخصيتك، وانتبه لشخصيتك فسوف تصبح واقعك".

عندما تأملت هذا القول خلصت إلى ما يلي:

> هنا كل فكرة أو أكثر قد تصبح قولاً، وكل مجموعة من الأقوال قد تصبح فعلاً، وكل مجموعة من الأفعال قد تصبح عادةً، وكل مجموعة من العادات قد تصبح طبعًا

تبدأ الأمور بقيادة الإنسان لنفسه؛ إذ إن الوالدين قد يكون لهما أثر في خروج الإنسان من الملة لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((كل مَوْلُود يُولَدُ عَلَى الفِطْرَة؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه أَوْ يُنَصِّرَانِه أَوْ يُمَجِّسَانِه...)) [البخاري]. أعني هنا أن الله سبحانه وتعالى وهب كل إنسان مهارات قيادية تعينه على البقاء في ملة الإسلام من خلال محافظته على فطرته ومن ثم عقيدته.

بعد ذلك ترى هذا الإنسان السوي الذي يسير على فطرة الله سبحانه وتعالى تراه يستخدم مهاراته القيادية للمحافظة على عقيدته الصحيحة التي يؤمن بها بصورة راسخة، ويثق بها، ويعمل من خلالها، ويرى الأمور بمنظارها.

بعد الإيمان بهذه العقيدة المباركة نجد الإنسان يبدأ في الإيمان بقيم معينة، والقيم: عبارة عن مبادئ من هنا وهناك يضع الإنسان لها مكانة في قلبه وعقله. وقاعدتي هنا تقول: "كلما كانت قيمُك تنبع من عقيدتنا الإسلامية الصحيحة كانت حياتُك طيبة ومنسجمة وهانئة، وكلما كانت قيمك تنبع من عقائد مختلفة سواء كنت تعلم أو لا تعلم فسوف تعيش حياة بها من التناقض الشيء الكثير"، إذ لا تجتمع فطرة الله سبحانه مع قيم محرفة وضعها إنسان لا يعيش على الفطرة.بعد القيادة والعقيدة والقيم يصبح هذا الخليط في رأيي المتواضع مصدرا لأفكار الإنسان، يكون منها نظامًا فكريًا يرى الإنسانُ من خلاله الأمور ويفسرها تبعًا لذلك، وهذا ما يسمى بالأيديولوجي).

بعد هذا كله ومن خلال تفاعل الإنسان بالبيئة المحيطة يتبنى أنماطا فكرية مختلفة في مجملها توافق نظامه الفكري الذي تبناه. علمًا أن أي تغيير جذري في هذه الأنماط قد يغير من نظامه الفكري، ولكن في رأيي أي تغيير في هذا النظام لا بد أن يغير بعضًا من الأنماط الفكرية المستخدمة، وكل نمط فكري يستخدمه الإنسان سوف يولد أفكارا مختلفة في عقله، وذلك يجعل من هذا العقل مركزا مهمًا ومحوريًا لتواصلنا مع أنفسنا والآخرين، لذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان أنه رفع القلم عمن لا عقل له.

هنا كل فكرة أو أكثر قد تصبح قولاً، وكل مجموعة من الأقوال قد تصبح فعلاً، وكل مجموعة من الأفعال قد تصبح عادةً، وكل مجموعة من العادات قد تصبح طبعًا، وكل مجموعة طبائع سوف تكون شخصيتك التي تتكون من استعدادك النفسي والجسماني وتكويناتك التي استقيتها من والديك والبيئة المحيطة.

لذا –وهنا بيت القصيد– إن نشدت التغيير فعليك أن تعرف أن الأمر ليس هينًا أو "خفيفا"، إذ لو كان كذلك لما قال الله سبحانه: ○إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا□ [المزمل: ٥] فذلك يعني أنه يجب عليك التفكير بطريقة جديدة ومختلفة لم تعتدها من قبل، حتى تصل إلى نتائج فكرية جديدة تساعدك على التغيير، قوامها الثقة بالله واليقين بالمساعدة.

خامسًا: المعرفة:

لا تستطيع أن تحوّل شيئًا إلى شيء آخر وأنت لا تعرفه أو تجهله، فهذا مضيعة للوقت والجهد، وسر التغيير يستند على المعرفة التراكمية للإنسان من خلال القراءة وغيرها، إذ إن تعريف المعرفة يتخلص ويرتبط بفهم الإنسان لموضوع معين بمستوى معين، فكلما عرفت ذاتك وحياتك وركزت عليهما، استطعت بعون الله أن تغير نشاطات وسلوكيات تتعارض مع الأخلاق الإسلامية.

لذا أوصي هنا بالتركيز على ثلاثة أمور نحاولُ جميعًا معرفتَها حتى نصل في نهاية الأمر إلى معرفة راقية وفهم واضح لما نفعله من سلوكيات في الحياة، حتى نستطيع أن نغير القبيح منها إلى حسن، والسيئ إلى جميل. وإن أردت أن تصل إلى إدراك ما تقوم به في الحياة بعامة وهي مرحلة عالية جداً من الرقي الإنساني، أي أن تفهم كل تواصل وسلوك تقوم به من جميع الجهات والجوانب، فهذا بصراحة شأن من يريد فعلا أن يتغير وأن يستمتع بحلاوة التغيير وحسناته:

١– الأفكار: بعامة هي عبارة عن صور ذهنية أو فهم معين، والتفكير بهذه الأفكار عبارة عن عمليات ذهنية وعقلية وفكرية تسمح للإنسان بمحاكاة العالم الذي يعيش فيه بفعالية من خلال أهدافه وخططه ورغباته. دعنا نقم بهذا التمرين معًا: يقول الله سبحانه وتعالى: ○... ألا بذكر الله تَطْمَئِنّ الْقُلُوبُ□ [الرعد: ٢٨]. حاول أن تقوم بهذا التمرين الذي يبين استعدادك للتغيير، إذ إن عدم اطمئنان النفس بعد ذكر الله سبحانه –وهذا حال أغلبيتنا إلا من رحم الله– يدل على أن هناك خللاً فطريًا لدينا بصورة أو بأخرى والله المستعان. إن قيادة أفكارنا والتحكم فيها يجعل منا أناسًا أقوياء أمرُهم بيدهم، حتى لو شاء إبليس وأعوانه غير ذلك.